

برل الاشتراك عن ستة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

تحت العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المرآة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
أحمد الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧١٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

وكذلك هو عند البخارزى حين يقول :

شكوت الذى اتى سهاداً وعبرة

وقلت احمرار الدمع يخبر عن وجدى

فقال محال ما ادعيت وإنما

سرت بمينيك التورد من خدى

أما ابن الساعاتى فالدمع عنده مطر ، والطير من البرق ،
والبرق كالصفائح الدامية ... فلا عجب أن تجرى الدموع بلون
الدما كما قال :

سلوا بالحنى أين الظباء الدوايح

وهل ظل بعدى بانه التناوح

جرى ماء عيني يوم كاظمة دماً

فأعلمنى أن البروق صفائح

وتتحول المسالة إلى أنبيق تقطير عند يوسف بن لؤلؤ النعبي

فيقول :

قالوا تبا كي بالدموع وما بكى بدم على عيش تعمر واقضى

فأجبتهم هو من دى لكنه لما تصد صار يقطر أيضاً

وإلى هنا تنحصر المشابهة في الدمع والدم وهما في بنية الإنسان

وفي تركيب الميوق .

إلا أنها لا تنحصر فيهما طويلاً حتى يعرض لهما خليل
ابن إبيك الصفدى شاوح لامية المعجم فيروى في كتابه « تشنيف

السمع بانسكاب الدمع » أن الدمع يسود كما قال بعضهم :

وقالته ما بال دمك أسوداً وجسمك مغفر وأنت نحيل

فقلت لها أفنى جفاؤك مدمى وهذا سواد الفاتين يسيل

بدع التشبيه...

للأستاذ عباس محمود العقاد

—»»»»»

جاءنى خطاب من « مستنصر » يسألنى فيه بعض التوضيح
لما أتين عرضت لها في معاصرة عن « الأدب المصرى بين حريين »
القيتها في نادى خريجي القسم الإنجليزى بالجامعة المصرية . وهما
بدعة التشبيه والروايات التى تسمى باللاحم الاجتماعية .

أما بدعة التشبيه فقد كانت مناسبة الكلام فيها أن أدباء
الصناعة كانوا يحسبون الوصف قرصة لاختلاق الأشباه التى
لا أصل لها في الطبيعة ولا في إحساس الشاعر . فكان الشاعر
يصف الدمع الأحمر لأنه استنفذ ماء شتونه فجرى الدمع من دم
مآقيه ، فأتى بدمه من يمارضه بوصف الدمع الأخضر أو الدمع
الأسود أو الدمع الأصفر إلى غير ذلك من الألوان التى لم تشاهد
قط في عين إنسان .

فمن تعليقاتهم لاحمرار الدمع قول الأرجاني :

دنون مشية التوديع منى ولى عيتان بالدم تجريان
ولم يحسن إكراماً جفونى ولكن رمن تخضب البنان
فالدمع هنا نوع من صبغة الأظافر أو صبغة الأنامل التى
تقابل « المانيكور » في هذا الزمان .

ولكنه عند ابن سناء الملك انكاس لون الحدود :

لا تحسبوا أنى بكيت دماً ولنن بكيت فليس بالبدع
لكن دمي حين قابله ألقى شجاع الخلد في الدمع

لا يعقل أن يحظر على بال أدب ولا قارىء ، وكفى بذلك دليلا على نشأة الأدب من جديد بعد ذلك المسخ وذلك الانحدار .

ويمحق لمن أراد أن يستزيد من تحقيق تلك الأنجوبة أن يعرف مرجعها في ذلك الكتاب الذى أشرنا إليه ، فإن كتاب « تشيف السمع » قد طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق وليس هو بالخطوط النادر الوجود

أما الروايات المطولة التى سميناها بالملاحم الاجتماعية فقد عرضنا لها فى المحاضرة لنقول إنها لم تظهر فى الأدب المصرى لأنها تتوقف على قيام الشكلات الاجتماعية التى تدور عليها . وستظهر فى حينها متى ظهرت موضوعاتها وظهر أبطالها وذوو « الشخصيات » التى تؤدى أدوارها فى الحياة

وقد خطر لبعض السامعين أن يناقش هذا رأى لأنه أخطأ فهم العنوان وأخطأ فهم التطبيق .

فقد حسب أن القصة التى تسمى بالملحمة Epic وقف على موضوعات كموضوعات الإلياذة وما إليها ، أو أنها مقصورة على ممالك الحروب وبطولة القتال .

وليس لذلك مسوغ من أصل الكلمة ولا من تطبيقها فى الروايات .

فإن الكلمة اليونانية لاتشير فى أصلها إلى حرب ولا أسطورة إلهية . ولا تتجاوز معنى الأقصوصة أو الأنشودة .

وتطبيق هذا العنوان القديم لا يستلزم حصر الملحمة فى الأساطير لأن رواية موتلى عن الجمهورية الهولندية تحسب من الملحم وهى تدور على وقائع التاريخ .

وهو لا يستلزم حصر الملحمة فى الممالك الحربية لأن « الكوميديا الإلهية » ملحمة وليست هى من روايات الممالك الحربية ، ولو جاز الأخذ بالقشور لما جازت تسميتها بالكوميديا ولا « بالأبوي » على هذا الاعتبار .

وإنما تطلق الملحمة فى عصرنا وقبل عصرنا على كل قصة مطولة تدور على موضوع غم من موضوعات البطولة والعظمة ، وهى من ثم صالحة لأن تظهر فى كل زمان متى ظهر الموضوع الذى تدور عليه ، وليس من الحتم أن تقف بعد عصر هوميروس أو عصور الأساطير .

عباس بن محمد الغفار

ويمجب الصفدى بالمعنى ولكنه يستضعف الشعر « كأنه عروس جلست فى ثياب حداد » ... ثم ينتقل إلى الدمع الأخضر فيروى هذين البيتين :

وقائلة ما بال دمعك أخضرا فقلت لها : هل تفهمين اشارتى ألم تعلمي أن الدموع تجففت فأجبتها يا معنتى من صراحتى ويعود الصفدى فيعقب قائلا : « وهذا المقطوع ركيك . وإنما الاستطراد اضطررتى إلى ذلك . ولقائله عذر واضح لكونه دفع إلى مضيق هذا الجواب ، وكنت قد كلفت نظم شئ فى الدمع الأخضر فاتفق لى هذا المعنى فنظمته وهو :

يقول عذولى ما لدمعك أخضرا جرى فى هوى ظبي غلا فى نفاذه فقلت سفا دمي وقابلت صدغه

فأبصر فيه لون آس عذاره وتبزعت بالنظم فى الدمع الأصفر فقلت :

وقائلة ما بال دمعك أصفرا فقلت لها ما حال عن أصل مائه ولكن خدى اصفر من سقم الهوى

فسال به والماء لون إنائه وهكذا كانوا يفهمون الوصف على أنه مناسبة لاختلاق التشبيهات التى لا وجود لها فى الحس ولا فى الطبيعة ، ولا يشبهون لتقريب المحسوسات إلى العاطفة أو الخيال .

فلما خلص الشعر من أوهام الصناعة بطل هذا الاختلاق وأعقبته محاولة التشبيه للتقريب وصدق التمثيل . وهذه خطوة تقدم لا شك فيه ... فلا يقدح فى هذا التقدم أن يكون السابقون أبرع من اللاحقين فى اصطلاح التشبيهات وتمثيل المناسبات . فإن الذى يعمد إلى التشبيه لأنه يحس ويتخيل خير من الذى يعمد إليه لأنه يعرض براءته فى التلقين والاختلاق ، وإن قصر الصادق عن المختلق فى ظواهر التشبيه .

عمرت لهذا التطور فى سياق الكلام على نهضة الشعر الحديث بعد هبوط الصناعة به إلى ذلك المضيض . فبلغ من دهشة السامعين أن طالبا أزهريا منهم ظن أننى وضعت هذه الشواهد من عتدى لتمثيل تلك النزعة واستبعد أن يجد شاعر فى نظم تلك السخافات . فأرضانى منه هذا الشك لأنه كان من أدل الدلائل على ارتقاء الأذواق وتطور الأفهام . فما كان براعة يتسابق إليها الأدباء قبل بضعة قرون أصبح فى زماننا هذا سخفا